الباب الرابع

غرائب وعجائب المنقول

١- فصل

ومن غرائب المنقول وعجائبه:

[١٥٣] عن الأمير بدر الدين أبى المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب أنه قال : حكى الأمير محمد شجاع الدين الشيرازى متولى القاهرة فى أيام الكامل سنة ثلاثين وستمائة ، قال : بتنا عند رجل بالصعيد فأكرمنا ، وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير ، فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الأشكال .

فقلنا له : هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم ، ثم قال : كأنكم أنكرتم علىَّ بياضهم وسوادى ؟ قلنا : نعم ، فقال : هؤلاء كانت أمهم إفرنجية أخذتها أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب ، فقلنا : وكيف أخذتها ؟ قال : حديثى فيها عجيب وأمرى غريب ، فقلنا : أتحفنا به ، فقال : زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته ، فصرفت عليه خمسمائة دينار ، ثم لم يبلغ الثمن أكثر من ذلك فحملته للقاهرة ، فلم يصل أكثر من ذلك فأشير على بحمله إلى الشام فحملته ، فلم يزد على تلك القيمة شيئاً فوصلت به إلى عكا ، فبعت بعضه لأجل والبعض تركته ، واكتريت حانوتا لأبيع على مهل إلى أن تنقضى المدة ، فبينما أنا أبيع إذ مرت بى امرأة إفرنجية ونساء الإفرنج يمشون فى الأسواق بلا نقاب ، فأتت تشترى منى كتانا فرأيت من جمالها ما أبهرنى فبعتها وسامحتها ، ثم انصرفت وأتت إلىَّ بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الأولى فتكررت إلىَّ وعلمت أنى أحبها .

فقلت للعجوز التى كانت معها : إننى قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة ، فقالت لها العجوز ذلك ، فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت

رهو فأعادت على الجواب ، فقلت لها : أما أنا فقد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز، فقالت : نحن الليلة عندك قال : فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب ، وشمع وحلوى فجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا ، وحن الليل ولم يبق غير النوم ، فقلت فى نفسى : أما تستحى من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية ؛ اللهم إنى أشهدك أنى قد عففت عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ، ثم نمت إلى الصبح .

فقامت من السحر وهى غضبانة ، ومضت ومضيت إلى حانوتى فجلست فيه فإذا هى قد عبرت علىَّ هى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت وقلت فى نفسى : ومن هو أنت حتى تترك هذه البارعة فى حسنها ، ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعى فقالت وحق المسيح ما أرجع لك إلا بمائة دينار ،فقلت : نعم بسم الله فمضيت فوزنت مائة دينار.

فلما حضرت الجارية عندى لحقتنى الفكرة الأولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ، ثم مضت ومضيت إلى موضعى ثم عبرت على بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بى عندك إلا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا ، فارتعت لذلك وعزمت على أنى أصرف ثمن الكتان جميعه . فبينما أنا كذلك والمنادى ينادى : معاشر المسلمين إن الهدنة التى كانت بيننا وبينكم قد انقضت ، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعة فانقطعت عنى ، وأخذت فى تحصيل ثمن الكتان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه وأخذت معى بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبى من الإفرنجية ما فيه .

فوصلت إلى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومَنّ الله علىَّ بكسب وافر وأخذت أتجر فى الجوارى لعل يذهب ما بقلبى من الإفرنجية ، فمضيت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر[1] ما جرى من وقعة حطين[2] ، وأخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل بإذن الله تعالى فطُلِبَ منى جارية للملك الناصر فأحضرت له جارية حسناء فاشتراها منى بمائة دينار فأوصلوا لى تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير عنده ، فلم يجدوها فى خزانة الملك فى ذلك اليوم لأنه أنفق جميع الأموال .

فلما حضرت الغنيمة جاءوا للملك فشاوروه على ذلك ، فقال : امضوا به إلى الخيمة التى فيها السبى من نساء الإفرنج فخيروه فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التى بقيت له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتى ، فقلت : أعطونى هذه الجارية فأخذتها ومضيت إلى خيمتى وخلوت بها ، وقلت لها : أتعرفينى ؟ قالت : لا ، فقلت لها : أنا صاحبك التاجر الذى جرى لى معك ما جرى وأخذت منى الذهب وقلت ما عدت ترانى عندك إلا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشر دنانير،فقالت:مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فأسلمت وحسن إسلامها .

---

(١) الملك الناصر هو : صلاح الدين الأيوبى ، يوسف بن أيوب : القائد العظيم قاهر الصليبيين ، ومجدد مجد المسلمين . من أصل كردى ، اختاره العاضد للوزارة وقيادة الجيش ، ولقبه بالملك الصالح ، وقد انتصر على الصليبيين فى موقعة حطين الشهيرة، ت[٥٨٩هـ = ١١٩٣م] . انظر : وفيات الأعيان(١٣٩/٧) ، الكامل لابن أثير (٣٧/١٢) .

(٢) حطين : قرية فى فلسطين غربى بحيرة طبرية . انتصر صلاح الدين على الصليبيين فيها سنة [٥٨٣هـ = ١١٨٧م] واستعاد للمسلمين بيت المقدس .

فقلت : والله لا وصلت إليها إلا بأمر القاضى .فتوجهت إلى ابن شداد[1] وحكيت له ما جرى ، فتعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة عندى فحملت منى. ثم رحل العسكر وأتينا دمشق فبعد مدة يسيرة أرسل الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق إلا التى عندى فطلبت منى فحضرت وقد تغير لونى فأحضرتها بين يدى الملك الناصر والرسول فقلت : هذه أسلمت وصارت امرأتى .

فقال الملك الناصر بحضرة الرسول : أترجعين إلى بلادك أو إلى زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك ؟ فقالت : يا مولانا السلطان أنا قد أسلمت وحملت وها بطنى كما ترونه وليس لى رغبة فى الرجوع إلى بلادى وما رغبتى إلا فى الإسلام وزوجى ، فقال لها الرسول : أيما أحب إليك هذا المسلم أو زوجك الإفرنجى ؟ فأعادت عبارتها الأولى ، فقال الرسول : لمن معه من الإفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول : خذ زوجتك وتوجه فوليت بها فطلبنى ثانيا وقال : إن أمها أرسلت معى كسوة، وقالت أن ابنتى أسيرة وأشتهى أن توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة، ومضيت إلى الدار ففتحت القماش فإذا هو قماشها بعينه قد صيرته لها أمها ووجدت من داخله الصرتين الذهب الخمسين دينار والمائة دينار كما هى بربطتى لم يتغيرا ، وهؤلاء الأولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام ، والله أعلم .

---

(١) يوسف بهاء الدين ، ابن شداد : القاضى ، المؤرخ . قاضى صلاح الدين وأرخ له فى كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"

[١٥٤] **ويحكى** : أن بعض الملوك أرسل رجلا من بطانته إلى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه بأخبار الرعية . فلما وصل الرجل فطن له العامل فأرسل إليه بمال وتحف ثم قال : عرفت ما جئت له، وأنا أرغب إليك فى كتاب تكتبه إلى الملك تذكر فيه أنى حسن السيرة وسالك طريق العدل ، فإن أنت فعلت ذلك فلك منى ما تشتهى رغبتك إليه من الخير والعطاء ، وإن أبيت ذلك أمرت الشرطيين أن ينهوا إلى من أمرك فى الملأ ما يوجب قتلك إما حدا و إما سياسة ، فاقتلك بمحضر من قاضى البلد ووجوه الناس ، فتذهب كأمس الماضى .

فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليخون مرسله كتب بحضرته كتابا إلى الملك : " أما بعد ؛ أعز الله الملك وأكرمه فإنى قدمت إلى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم ، قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى أقضيته وأرضى بعضهم ، بعضا وجعل طاعته عليهم فرضا ، وأنزلهم منه منزلة الأولاد وأذهب ما بينهم من الأحقاد، وأراحهم من السعى فى الدنيا ، وفرغهم للعمل فى الآخر أغنى القاصد وأرضى الوارد، فجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر إلى وجهه الكريم والسلام" .

فلما وصل الكتاب منه إلى الملك فكر فيه وقال لوزيره : إن فلانا لم يكن عندى بمتهم، فإن كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا يصلح لعمله فإنى قد عزلته ، فقال الوزير : أصلح الله الملك وكيف ذلك ؟ قال : لأن قوله : "آخذا بالحزم عاملا بالعزم" ؛ أى أنه خائف منى لما اعتمده فى الولاية . وأما قوله : "ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى أقضيته"؛

فمعناه أنه لم يخص أحدا بظلمه بل الجميع سواء . وقوله : "وأرضى بعضهم بعضا" ؛ أى ذهبت أحقادهم لأن الشدائد تذهب الأحقاد . وقوله: "أنزلهم منه منزلة الأولاد" معناه ؛ أخذ أموالهم ورأى أنها له أخذا من قوله ﷺ : «أنت ومالك لأبيك»[1] . وقوله : "وأراحهم من السعى فى الدنيا" معناه أنه أخذ أموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون. وقوله : "فرغهم للعمل فى الأخرى" معناه ؛ أنهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم . وقوله : "أغنى القاصد وأرضى الوارد" ؛ فإنه يعنى نفسه أى أنه أعطاه مالا ليكتب إلى بذلك . وأما قوله : "فجميع أهل عمله داعون لنا" معناه ؛ أن يبصرنا الله بأمرهم ونطلع على ما هم فيه . وقوله : "يودون النظر لوجهنا" ؛ أى يشكون إلينا ما لقوه منه ويستغيثون بنا . ثم إن الملك طلب العامل وأحضره إلى بابه وأنصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على فعله ، والله أعلم .

---

(١) الحديث : صححه الألبانى فى الجامع الصحيح برقم٠(١٤٨٦) .

٢- فصل
القصيدة الزينبية

[١٥٥] وهذه القصيدة الزينبية :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب ... والدهر فيه تصرم وتقلب[١]
نشرت ذوائبها التي تزهو بها ... سودا ورأسك كالثغامة أشيب[٢]
واستنفرت لما رأتك وطالما ... كانت تحن إلى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فإنه ... آل ببلقعة وبرق خلب[٣]
فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... وازهد فعمرك مر منه الأطيب
ذهب الشباب فما له من عودة ... وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ما قد كان في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فإنه ... لابد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما ... أنفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته ... حقا يقينا بعد موتك ينهب

---

(١) صرمت حبالك : قطعت ودكِ .

(٢) الذؤابة : ضفيرة الشعر . أثغَم الرأس : أي ابيض تشبها بالثغام ، وهو شجر أبيض الزهر . أشيَب : المبيض الرأس .

(٣) البَلْقَع : الأرض القفر ، والمرأة البلقعة : الخالية من كل خير . برقٌ خُلَّب : برق ليس وراءه مطر ، يعنى ليس وراءها خير .

تبا لدار لا يدوم نعيمها ... ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة أولاكها ... بر نصوح للأنام محرب
صحب الزمان وأهله مستبصرا ... ورأى الأمور بما تؤوب وتعقب
لا تأمن الدهر الخؤون فإنه ... مازال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الأيام في لذاتها ... غصص يذل لها الأعز الأنجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... إن النقي هو البهي الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع له لديه مقرب
واقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس عما فات فهو المطلب
فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسي ثوب المذلة أشعب[1]
وتَوَقْ من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب
لا تأمن الأنثى حياتك إنها ... كالأفعوان يراع منه الأنيب
لا تأمن الأنثى زمانك كله ... يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغرى بليين حديثها وكلامها ... وإذا سطت فهي الصقيل الأشطب[2]
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب
واحذره إن لاقيته متبسما ... فالليث يبدو نابه إذ يغضب
إن العدو وإن تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب
وإذا الصديق رأيته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب[3]
لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب

---

(١) أشْعَب : رجل من المدينة ، ضرب به المثل في الطمع .

(٢) الصقيل الأشطب : السيف الحاد القاطع .

(٣) تملق الرجل للرجل : تودد إليه وتذلل له وأبدى له بلسانه من الإكرام والود ما ليس في قلبه .

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وإن جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... إن القرين إلى المقارن ينسب
إن الغنى من الرجال مكرم ... وتراه يرجى مالديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فإنه ... حقا يهون به الشريف الأنسب
واخفض جناحك للأقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا
وذر الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... إن الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام إذ نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به ... إن الزجاجة كسرها لا يشعب[1]
وكذاك سر المرء إن لم يطوه ... نشرته ألسنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا ... والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس يأتي رزقه ... رغدا ويحرم كيس ويخيب[2]
وارع الأمانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
وإذا أصابك نكبة فاصبر لها ... من ذا رأيت مسلما لا ينكب
وإذا رميت من الزمان بريبة ... أو نالك الأمر الأشق الأصعب
فاضرع لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقرب
كن ما استطعت عن الأنام بمعزل ... إن الكثير من الورى لا يصحب

---

(١) شَعَبَ الشيء : جمعه .

(٢) الكيس : العاقل الفطن .

واحـــذر مصاحبـــة اللئيـــم فإنـــه ... يعدى كمـا يعـدى السـليم الأجـرب
واحـذر مـن المظلـوم سـهما صائبـا ... واعلـــم بـــأن دعـــاءه لا يحجـــب
وإذا رأيـــت الـــرزق عـــز ببلـــدة ... وخشيت فيهـا أن يضيـق المذهـــب
فـارحل فـأرض اللـه واسـعة الفضـا ... طـولا وعرضـا شـرقها والمغـرب
ولقـــد نصحتـك إن قبلت نصيحتى ... فـالنصـح أغلـى مـا يبـاع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان[1] .

[١٥٦] وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس[2] :

المـرء يجمـع والزمـان يفـرق ... ويظـل يرقـع والخطـوب تمـزق[3]
ولأن يعـادى عـاقلا خـيرا لـه ... مـن أن يكـون لـه صديـق أحمـق
فاربأ بنفسك أن تصـادق أحمقـا ... إن الصديق على الصديق مصـدق[4]
وزن الكـلام إذا نطقـت فإنمـا ... يبدى عقـول ذوى العقـول المنطـق
ومن الرجـال إذا استـوت أحلامهم ... من يستشـار إذا استشيـر فيطرق
حتـى يجيـل بكـل واد قلبـه ... فيرى ويعـرف مـا يقـول وينطـق
لا ألقينـك ثاويـا فـى غربـة ... إن الغريب بكـل سـهم يرشـق[5]

---

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١/٥٠) .

(٢) انظر : العقد الفريد (٢/٤٣٦) . وصالح بن عبد القدوس : صاحب الفلسفة قتله المهدى على الزندقة . كان يعظ ويقص بالبصرة ، وحديثه يسير ، وليس بالثقة . انظر: حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١/٤٩) ، تاريخ بغداد (٩/٣٠٣) .

(٣) الخطوب : الحوادث الكبيرة .

(٤) اربأ بنفسك : أى احفظها واعلو بها .

(٥) الثاوى : الإقامة فى المكان .

ما الناس إلا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش وإنما ... بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... ألفيت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذي تبع العروس مبهتا ... ورأيت من تبع الجنازة ينطق
وإذا امرؤ لسعته أفعى مرة ... تركته حين يحر حبل يفرق
بقي الذين إذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

[١٥٧] **وذكر ابن الجوزي في الأذكياء[١] وغيره** : أن عمران بن حطان كان أحد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنهما الله تعالى على قتل الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضي أبا الطيب الطبري[٢] رحمه الله تعالى هذه الأبيات ، فقال مجيبا له :

إني لأبرأ مما أنت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا
إني لأذكره يوما فألعنه ... دينا وألعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله إسراراً وإعلانا

---

(١) انظر : كتاب الأذكياء ص ٢٤٦ .

(٢) طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أبو الطيب الطبري : قاضي ، من أعيان الشافعية من مصنفاته "شرح مختصر المزني" ت[٤٥٠هـ -١٠٥٨م] انظر : طبقات الشافعية: (١٧٦/٣) .

فـأنتمـو مـن كـلاب النار جاء لنا نـص الشـريعة برهانـا وتبيـانا

أشار أبو الطيب رحمه الله تعالى إلى قوله ﷺ «الخوارج كلاب النار»[1] انتهى من حياة الحيوان[2] .

[١٥٨] ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « جاءوا برجل إلى النبى ﷺ فشهدوا عليه أنه سرق حملا لهم فأمر به النبى ﷺ أن يقطع فولى الرجل وهو يقول : اللهم صلى على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء، فتكلم الحمل وقال : يا محمد إنه برىء من سرقتى ، فقال النبى ﷺ من يأتينى بالرجل فابتدره سبعون من أهل بدر فجاءوا به إلى النبى ﷺ فقال : يا هذا ما قلت آنفا ؟ فأخبره بما قال فقال النبى ﷺ لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بينى وبينك ، ثم قال النبى ﷺ لَتَرِدُنَّ على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر» انتهى .

[١٥٩] وهذه القصيدة يقال إنها لأمير المؤمنين الراضي بالله[3]

زيـادة المـرء فـى دنيـاه نقصـان وربحه غير محض الخير خسـران
وكـل وجـدان حـظ لاثبـات لـه فـإن معنـاه فى التحقيـق فقـدان

---

(١) الحديث : رواه ابن ماجه ، المقدمة (١٢) ، صحيح الجامع رقم (٣٣٤٧) .

(٢) انظر : حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١/٥٧) .

(٣) الراضى : الخليفة العباسى ، محمد بن جعفر بن المعتضد بالله أحمد ت[٣٢٩هـ] .
والقصيدة بتمامها فى كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى ، حرف الثاء (١/٢٥٠) .

ياعـامرا الخـراب الدهـر مجتهـدا ... بالله هـل لخـراب الدهـر عمـران
وياحريصا على الأمـوال يجمعهـا ... أنسيت أن سرور المـال أحـزان
راع الفـؤاد عـن الدنيـا وزخرفهـا ... فصفوهـا كـدور الوصـل هجـران
وأوع سـمعك أمثـالا أفصلهـا ... كمـا يفصـل يـاقوت ومرجـان
أحسن إلى النـاس تستعبد قلوبهـم ... فطالمـا استعبد الإنسـان إحسـان
وكن على الدهـر معوانـا لـذى أمـل ... يرجـو نـداك فـإن الحـر معـوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... وإليـه والمـال للإنسـان فتـان
من كـان للخـير مناعـا فليـس لـه ... عنـد الخليقـة أخـدان وإخـوان[1]
لا تخدشـن بمطـل وجـه عارفـة ... فـالبر يخدشـه مطـل وليـان
يا خادم الجسم كـم تسعى لخدمته ... أتطلـب الربـح ممـا فيـه خسـران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فـأنت بـالنفس لا بالجسـم إنسـان
من يتـق اللـه يحمـد فـى عواقبـه ... ويكفـه شر من عـزوا ومـن هـانوا
حسب الفتى عقلـه خـلا يعاشـره ... إذا تحامـاه إخـوان وخـلان
لا تستشر غـير شخص حـازم فطـن ... قـد استوت منـه إسـرار وإعـلان
فللتدابـير فرسـان إذا ركضـوا ... فيهـا أبـروا كمـا للحـرب فرسـان
وللأمـور مواقيـت مقـدرة ... وكـل أمـر لـه حـد ومـيزان
من رافق الرفق فى كل الحوادث لـم ... يندب عليـه ولـم يذممـه إنسـان
ولا تكـن عجـلا فى الأمر تطلبه ... فليـس يحمـد قبـل النضج بحران
وذو القناعـة راض فـى معيشـته ... وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
كفى من العيش ما قد سد من رمق ... ففيـه للحـر إن حققـت غنيـان
همـا رضيعـا لبـان حكمـة وتقـى ... وسـاكنا وطـن مـال وطغيـان

---

(١) أخْدَان : الأحباب والأصحاب .

من مد طرفا بفرط الجهل نحو هوى ... أغضى من الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهمو نصبا ... لأن طبعهم بغي وعدوان
ومن يفتش على الإخوان محتهدا ... فجل إخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه ... ندامة ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأشرار نام وفى ... قميصه منهمو صل وثعبان[1]
من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان[2]
من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان
وان ساء مسيء فليكن لك فى ... عروض زلته صفح وغفران
إذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه فى بسيط الأرض أوطان
لاتحسبن سرورا دائما أبدا ... من سره زمن ساءته أزمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده ... إن كنت فى سنة فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضى سيرته ... أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت فى لجج ... فأنت ما بينها لا شك ظمآن[3]
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لاتهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان
لاتحسب الناس طبعا واحدا فلهم ... غرائز لست تحصيها وألوان
ما كل ماء كصداء لوارده ... نعم ولا كل نبت فهو سعدان
من استعان بغير الله فى طلب ... فإن ناصره عجز وخذلان

---

(١) الصِل : نوع خبيث من الحيات .

(٢) غوائل الناس : شرهم ، وجذلان : فرحان مسرور .

(٣) اللجة : ماء كثير .

واشدد يديك بحبل الله معتصما ... فإنه الركن إن خانتك أركان
لا ظل للمرء يغنى عن تقى ورضا ... وان أظلته أوراق وأفنان[1]
سحبان من غير مال بأقل حصر ... وبأقل فى ثراء المال سحبان
والناس إخوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته أعوان
يا رافلا فى الشباب الرحب منتشيا ... من كأسه هل أصاب الرشد نشوان[2]
لاتغترر بشباب ناعم خضل ... فكم تقدم قبل الشيب شبان[3]
ويأخا الشيب لو ناصحت نفسك لم ... يكن لمثلك فى الإسراف إمعان
هب الشبيبة تبدى عذر صاحبها ... ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فإن الله يغفرها ... إن شيع المرء إخلاص وإيمان
وكل كسر فإن الله يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلا يدوم على الإنسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمه ... والحر بالعدل والإحسان يزدان[4]
خذها سرائر أمثال مهذبة ... فيها لمن يبتغى التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع سائغها ... إن لم يصغها قريع الشعر حسان

[١٦٠] وذيل عليها بعضهم فقال :

وكن لسنة خير الخلق متبعا ... فإنها لنجاة العبد عنوان
فهو الذى شملت للخلق أنعمه ... وعمهم منه فى الدارين إحسان

---

(١) الفَنَن : الغصن المستقيم من الشجر ، وجمعها أفنان .

(٢) المنتشى : الذى بدأ سكره .

(٣) خضل : ندى ذو نضارة .

(٤) الأنوار : الزهر الأبيض ، وفاغمه :ذات روائح طيبة .

جبينه قمر قد زانه خفر ... وثغره درر غر ومرجان[1]
والبدر يخجل من أنوار طلعته ... والشمس من حسنه الوضاح تزدان
ومذ أتى أبصرت عمى القلوب به ... سبل الهدى ووعت للحق آذان
به توسلنا فى محو زلتنا ... لربنا إنه ذو الجود منان
يا رب صل عليه ما همى مطر ... فأينعت منه أوراق وأغصان
وابعث إليه سلام زاكيا عطرا ... والآل والصحب لا تفنيه أزمان

[١٦١] **وعن حماد الراوية قال** : كنت محبا للوليد بن عبد الملك. فلما ولى أخوه يزيد الخلافة هربت إلى الكوفة ، فبينما أنا فى المسجد الأعظم إذا أتانى رسول محمد بن يوسف الثقفى ، وقال : أجب الأمير فدخلت عليه فقال : ورد كتاب أمير المؤمنين على بحملك إليه وبالباب نجيبان فاركب أحدهما ودفع إلى كيسا فيه ألف دينار ، وقال : هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق فى اليوم الثامن ، واستأذن لى الرسول .

فدخلت عليه فاذا هو جالس فى دار مبلطة بالرخام الأحمر وفيها سرادق خز أحمر فى وسط قبة حمراء من خز وفرشها وكل مافيها أحمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما إبريق وفى إحدى يدى الأخرى نبيذ أحمر وفى اليد الأخرى نبيذ أبيض . فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد على السلام وقال ادن يا حماد أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين قال : فى بيت شعر ذهب عنى أوله ، قلت : من أى عروض أوقافية ؟ قال : لا أدرى إلا أنه بيت فيه إبريق .

---

(١) الخفر : شدة الحياء ، وذا غَرّ : ذا حسن .

فقلت فى نفسى : إن لم تغن الرواية يوما فالآن ؛ ففكرت ساعة ثم قلت : نعم يا أمير المؤمنين لعله قول تبع اليمانى أو عدى بن زيد العبادى :

بكر العاذلون فى وضح الصبح ... يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابن عبيد الله ... والقلب عنكم مرهوق
لست أدرى إذا كثر العذل فيها ... أعدو يلومنى أو صديق
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت ... قينة فى يمينها إبريق

فصاح يزيد وقال : هو والله الشعر بعينه ، وشرب وقال : يا جارية اسقيه فسقتنى كأسا أذهبت ثلث عقلى ، ثم استعاد الشعر وشرب وقال : اسقيه فسقتنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى ، فقال : سل حاجتك قبل أن يذهب الثلث الآخر ؟ فقلت : إحدى هاتين الجاريتين فقال: هما لك بمالهما وما عليهما ومائة ألف تحسن بها سيرك ، ثم ناولتنى الجارية كأسا فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدل بى إلى دار الضيافة ، فانتبهت آخر الليل وإذا بشمع يوقد والجاريتان يرصان الأمتعة والبغال تحمل مالهما من أثاث وغيره ، وأصبحت وقبضت المال وانصرفت وأنا أيسر أهل الكوفة ، انتهى .

[١٦٢] و[قيل] : لما وقف الشيخ تقى الدين بن حجة[1] -رحمه الله- على هذه الحكاية قال : انظر أيها المتأدب إلى نفاق سوق الأدب فى ذلك الأرب ، وبشهادة الله إن البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من العراق إلى دمشق وأجيز عليه بالجاريتين والمائة ألف تأنف نفسى أن أنظمه فى سلك قصيدة من قصائدى وهو هذا البيت :

---

(١) تقى الدين بن حجة : صاحب كتاب ثمرات الأوراق . تقدمت ترجمته .

ودعـوا بالصبـوح يوماً فجاءت قينـة فـي يمينهـا إبريـق

وكنت أريد أن أكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمى فى هذا الباب قولى :

فـى ليلـة رقـم البـدر المنـير لهـا طـارا لـه بعصـى الجـوزاء نقـرات
وبان لى من لماهـا حيـن تبسـم لـى فـوق اللثـا واللمـى در وعقيـات[1]
والراح دبـت علـى فهمـى فصورهـا مسكاً يضوع لـه فـى الكـأس نفحـات
كانت علامات تحقيقى فقـال فمـى هـى المنـازل لـى فيهـا علامـات
منـذ أنشـأتنا سـجعنا فـى محاسـنها مغرديـن وللإنشـاء سـجعات
هـذا وأفـواه كاسـاتى قـد ابتسـمت لمـا حبتهـا ثغـور لؤلؤيـات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت فللحبـاب علـى التسـكين حزمات

[١٦٣] وألطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال :

كان أبو عثمان المازنى[2] جاء إليه يهودى وسأله أن يقرئه كتاب سيبويه[3] وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من ذلك ، فقلت له : سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك إلى درهم واحد فقال : نعم ياأبا العباس اعلم أن كتاب سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ولا أرى أنْ أُمَكِّن منها كافراً فسكت ولم يتكلم .

---

(١) اللمى : سمرة فى باطن الشفة تستحسن .

(٢) المازنى ، أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب : من أئمة العربية ، تعلم عليه المبرد . من تأليفه "التصريف" ت[٢٤٨هـ=٨٦٣م] .

(٣) سيبويه ، هو : أبو بشر عمرو بن عثمان ؛ من أئمة علم النحو ، تعلم على الخليل بن أحمد. إمام مذهب البصريين ، وكتابه فى النحو هو "الكتاب" ، ت[١٧٩هـ=٧٩٦] .

قال المبرد : فما مضت إلا أيام حتى جلس الواثق يوماً للشرب وحضر ندماؤه فغنت جارية فى المجلس هذا الشعر :

أظلوم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلاً ، فلحنها[1] بعض الحاضرين من الندماء ، وقال : الصواب الرفع لأنه خبر إن ، فقالت الجارية : ما حفظته من معلمى إلا هكذا ؛ ثم وقع النزاع بين الجماعة فمن قائل الصواب معه ومن قائل الصواب معها .

فقال الواثق : من بالعراق من أهل العربية ممن يرجع إليه ؟ فقالوا : بالبصرة أبو عثمان المازنى وهو اليوم واحد عصره فى هذا العلم . فقال الواثق : اكتبوا إلى والينا بالبصرة يسيره إلينا معظماً مبجلاً فما كان إلا أيام حتى وصل الكتاب إلى البصرة فأمر الوالى أبا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد .

فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد فى إكرامه وعرض عليه البيت فقال : الصواب مع الجارية ولا يجوز فى رجل غير النصب ؛ لأن مصاب مصدر بمعنى الإصابة ورجلاً منصوباً به ؛ والمعنى إن إصابتكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم فظلم خبر إن ولا يتم الكلام إلا به ؛ ففهم الواثق كلام أبى عثمان وعلم أن الحق ما قالته وأعجب به وانقطع الرجل الذى أنكر على الجارية ، ثم أمر الواثق لأبى عثمان المازنى بألف دينار ، وأتحفه بتحف وهدايا كثيرة لأهله ، ووهبت له الجارية حملة أخرى ، ثم سيره إلى بلده مكرماً .

---

(١) لحنها : خطّأها .

فلما وصل جاء المبرد ، فقال له أبو عثمان : كيف رأيت ياأبا العباس تركت لله مائة فعوضنى ألفاً . فقال المبرد : من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه ، انتهى .

[١٦٤] **وعن أنس**(١) رضي الله عنه **قال** : قال رسول الله ﷺ «سألت الله الاسم الأعظم فجاءنى جبريل به مختوماً ، وهو "اللهم إنى أسألك بالاسم المخزون المكنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحى القيوم" قالت عائشة : بأبى وأمى علمنيه فقال : ياعائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء» انتهى .

فائدة

[١٦٥] [**وقيل**] : كان أبو محمد عبد الله بن يحيى الصنيعى من أصحاب الشافعى وكان إماما صالحاً عالماً من أهل اليمن من أقران صاحب البيان من تصنيفه : "احترازات المهذب" ، و"التعريف فى الفقه" روى : أن ناساً ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك ؟ فقال : كنت أقرأ ﴿**ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم**﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿**فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين**﴾ [يوسف: ٦٤] ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾ [الرعد: ١١] ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩] ﴿**وحفظناها من كل شيطان رجيم**﴾ [الحجر: ١٧]

---

(١) أنس بن مالك : خدم النبى عشر سنين ، شهد بدرا ، وله ألف ومئتا حديث وستة وثمنون حديثا . وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة [٩٠هـ] .انظر : الإستعاب (١٥١/١) .

﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾ [الصافات: ٧] ﴿وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [فصلت: ١٢] ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ [الطارق: ٤] ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ [البروج: ١٢] إلى آخر السورة وينبغي أن يزاد فيها ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ [هود: ٥٧] ثم قال : كنت خرجت يوماً مع جماعة فرأيت ذئباً يلاعب شاة عجفاء[١] ولا يضرها بشيء . فلما دنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا في عنق الشاة كتاباً مربوطاً فيه هذه الآيات المتقدمة ، انتهى .

فائدة

[١٦٦] **قال معاذ بن جبل**[٢] : «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى ، وتجوز في صلاته ؛ فلما سلم دعا بصوته فقال لنا : على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا فقال : أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إلا أني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت ، فإذا أنا بربي تعالى في أحسن صورة فقال : يامحمد فقلت : لبيك يا رب قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : ربي لا أدري ، قال تعالى : في الكفارات والدرجات -وفي رواية قلت : في الكفارات والدرجات- قال : فما هن ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء على المكروهات . قال : ثم فيم ؟ قلت : إطعام الطعام ولين الكلام ، والصلاة

---

(١) عجفاء : ضعيفة هزيلة .

(٢) معاذ بن جبل: صحابي جليل من السابقين ، تُوفي بطاعون عمواس [١٨هـ-٦٣٩م] .

بالليل والناس نيام . قال : سل ؟ قلت : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنى إلى حبك ، فقال رسول الله ﷺ : إنها حق فادرسوها ثم تعلموها»[1] . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، انتهى من حياة الحيوان فى حرف النون .

[١٦٧] **وقال** : ذكر لرسول الله ﷺ الشرك فقال : «هو أخفى فيكم من دبيب النمل ، وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك ، وكباره تقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم إنك انت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات»[2]. انتهى.

فائدة

[١٦٨] إذا علقت عين الهدهد على صاحب النسيان ، ذكر ما نسيه ودمه إذا قطر فى البياض فى العين أذهبه .

[١٦٩] وروى أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات من حديث أبى هريرة : « أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يشرب قائما ، فقال له : أيسرك أن يشرب معك الهر؟ فقال : لا ، قال فقد شرب معك الشيطان»[3].

---

(١) انظر الجامع الصحيح رقم (٥٩) .

(٢) انظر : الجامع الصحيح رقم (٣٤٣٢) .

(٣) انظر صحيح الجامع رقم (٦٨٨٧) .

[١٧٠] وفى تاريخ ابن النجار فى ترجمة محمد بن عمر الحنبلى :
عن أنس بن مالك قال : كنت جالسا عند عائشة رضى الله عنها أبشرها بالبراءة ، فقالت : والله لقد هجرنى القريب والبعيد حتى هجرتنى الهرة وما عرض على طعام ولا شراب ، فكنت أرقد وأنا جائعة فرأيت فى منامى فتى فقال : مالك خزينة ؟ فقلت : مما ذكر الناس ، فقال : ادعى بهذه يفرج الله عنك ، فقلت : وما هى ؟ قال : قولى دعاء الفرج "يا سابغ النعم ، ويا دافع النقم ، ويا فارج الغمم ، ويا كاشف الظلم ، ويا أعدل من حكم ، ويا حسيب من ظلم ، ويا ولى من ظلم ، ويا أوّل بلا بداية ، ويا آخر بلا نهاية، ويا من له اسم بلا كنية ؛ اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا" قالت: فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله براءتى وجاءنى الفرج انتهى من حياة الحيوان.

[١٧١] وهذا الدعاء روى الطبرانى بإسناد صحيح قطعة منه عن
أنس : « أن النبى ﷺ مر بأعرابى وهو يدعو فى صلاته يقول : يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيره الحوادث ، ولا يخشى الدوائر ، يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر إلا ويعلم ما فى قعره ولا جبل إلا يعلم ما فى وعره ؛ اجعل اللهم خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقائك ، فوكل النبى ﷺ بالأعرابى رجلا فقال : إذا صلى فائتنى به . فلما صلى أتاه به وقد أهدى للنبى ﷺ ذهب من بعض المعادن . فلما أتى الأعرابى وهب له

الذهب وقال : ممن أنت أيها الأعرابى ؟ قال : من بنى عامر بن صعصعة . فقال صلى الله عليه وسلم : هل تدرى لم وهبت لك هذا الذهب ؟ قال : للرحم التى بيننا وبينك يا رسول الله : قال صلى الله عليه وسلم : إن للرحم حقا ؛ ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل» . انتهى من حرف الطاء[1] .

[١٧٢] وفى كتاب ثمار القلوب للثعالبى فى الباب الثالث عشر منه : أن الملك بهرام جور لم يكن فى العجم أرمى منه . ومن غريب ما اتفق له أنه خرج يوما يتصيد على جمل وقد أردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء ، فقال للجارية : فى أى موضع تريدين أن أضع هذا السهم من هذه الظباء ؟ قالت : أريد أن تشتبه ذكرانها بإناثها وإناثها بذكرانها ، فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين ، فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما فى موضع القرنين ، ثم سألته أن يجمع ظلف[2] الظبى وأذنه بنشابة[3] واحدة ، فرمى أصل أذن الظبى ببندقة ؛ فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحك رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفة ، ثم أهوى إلى الجارية مع هواه بها فرمى بها إلى الأرض وأوطأها الجمل بسبب ما اشترطت عليه ، وقال : ما أردت إلا إظهار عجزى . فلم تلبث إلا يسيرا وماتت انتهى[4] .

---

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف الطاء (١٣١/٢) .

(٢) ظِلْف : بمنزلة الحافر للفرس .

(٣) نُشّابة ، مفرد نشاشيب : السهام .

(٤) انظر حياة الحيوان ، حرف الظاء (١٤٣/٢) .

حكاية فى القطا[1]

[١٧٣] **يقال** : نزل عمر بن مامة على قوم من مراد فطرقوهم ليلا ؛ فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة يقال لها : حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم : ولو ترك القطا ليلا لناما. فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتحئوا إلى واد قريب منهم واعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضُرب به المثل ، انتهى بتقديم وتأخير[2] .

[١٧٤] **وعن أبي جعفر الخالدى قال** : ودعت أبا الحسن الصغير المدنى فقلت له : زوّدنى شيئاً فقال : إذا ضاع منك شيء وأردت أن يجمع الله بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان فقل : "يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بينى وبين كذا وكذا" فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان.انتهى من حرف الألف.

[١٧٥] **وهذه أبيات** :

لصيد اللحم فى البحر ... وصيد الأسد فى البر

وقضم الثلج فى القر ... ونقل الصخر فى الحر[3]

---

(١) القَطَا ، مفردة قَطَاة : طائر فى حجم الحمامة ، يضرب بها المثل فى الاهتداء ، فيقال: أهدى من القطا . قيل : سُميت بذلك لثقل مشيها .

(٢) انظر : العقد الفريد (٨٣/٣) ، حياة الحيوان ، حرف القاف (٣٤٧/٢) .

(٣) القر : شدة البرد .

وإقـــدام علـــى المـــوت وتحويـــل إلـــى القـــبر
لأشـــهى مـــن طـــلاب العـــر ف ممـــن عـــاش فـــى الفقـــر

قوله : للخم بضم اللام وإسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له لكوسج وهو القرش نتهى من حياة الحيوان فى حرف اللام.

[١٧٦] **وذكر بعض أهل التواريخ** : أن ملكا من الملوك خرج يدور فى ملكه فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفردا فأخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته إياه . فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت له: انظر فى هذا الكتاب حتى أصلح من أمرى ما تحب وأعود فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه وإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم ؛ فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب ومر ذاهبا ، وكان زوج المرأة غائبا .

فلما حضر أخبرته الخبر فتحير فى نفسه وخاف أن يكون قد وقع غرض الملك فيه . فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة. فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه إلى الملك . فلما مثل بين يدى الملك قال أقارب المرأة : عز الله مولانا الملك إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ، ثم تركها فلا هو يزرعها، ولا هو يتركها لتؤجرها لمن هو يزرعها ، وقد حصل الضرر للأرض ونخاف فسادها بسبب التعطيل ، لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت .

فقال الملك لزوج المرأة : ما يمنعك من زرع أرضك ؟ فقال : أعز الله مولانا الملك إنه قد بلغنى أن الأسد قد دخل أرضى وقد هبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمى أنه لا طاقة إلى بالأسد ، ففهم الملك القصة فقال : يا هذا إن أرضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها ، فإن الأسد لن يعود إليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه ، انتهى من حرف الألف[1] .

فائدة

[١٧٧] الفرزدق اسمه همام بن غالب ، والفرزدق لقب غلب عليه ، والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره ، انتهى .

فائدة عظيمة

[١٧٨] قال الأطباء : إذا أردت أن تعرف المرأة عقيم أم لا فمرها أن تتحمل بثومة فى قطنة وتمكث سبع ساعات فإن فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالأدوية ، فإنها تحمل بإذن الله تعالى وإلا فلا وهى مجربة والله أعلم .

فائدة

[١٧٩] قال شيخ الإسلام محيى الدين النووى[2] فى أذكاره فى باب أذكار المسافر عند إرادته الخروج من بيته : يستحب عند إرادة

---

(١) انظر: حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١/١٥) .

(٢) يحيى بن شرف بن حسن النووى ، أبو زكريا : علامة بالفقه إمام فى الحديث له التصانيف الكثيرة المشهورة [٦٧٦هـ] .انظر : طبقات الشافعية للسبكى (٥/١٦٥) .

الخروج أن يصلى ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر»[1] . رواه الطبرانى .

[١٨٠] **وقال فى تتمة أخرى :** قال الشيخ قطب الدين القسطلانى : مما حفظت من والدتى أم محمد آمنة وكانت وفاتها فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة "اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك ، مِنْ أعدائى احتجبت ؛ وبسطوة الجبروت ممن يكيدنى استترت ؛ وبطول حول حجب عرشك ، مِنْ أعدائى احتميت ؛ وبشديد قوتك ، مِنْ كل سلطان تحصنت وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعذت ؛ وبمكنون السر من سر سرك من كل هم وغم تخلصت يا حامل العرش عن حملة العرش يا شديد البطش يا حابس الطير والوحش احبس عنى من ظلمنى واغلب من غلبنى كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز" انتهى .

[١٨١] **وقال الشيخ قطب الدين :** ومما حفظته من دعاء والدى من الأدعية التى تنفع فى الحجب عن الأعداء "اللهم بسر الذات وبذات السر ، هو أنت أنت هو لا إله إلا أنت احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم الله من عدوى وعدو الله بألف ألف لاحول ولا قوة إلا بالله ، ختمت على نفسى ودينى وأهلى ومالى وولدى وجميع ما أعطانى ربى بخاتم الله القدوس المنيع ، الذى ختم به أقطار السموات والأرض حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل" .

---

(١) الحديث : انظر : ضعيف الجامع (٥٠٥٩) .

[١٨٢] وقال الكسائى[١] : دخلت على الرشيد ذات يوم وهو فى إيوانه وبين يديه مال كثير قد أمر بتفرقته على خدمه الخاصة ، وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيرا ما يحدثنى ، فقال : هل علمت أول من سن هذه الكتابة فى الذهب والفضة ؟ قلت : هو يا سيدى عبد الملك بن مروان ، قال : فما كان السبب فى ذلك؟ قلت : لا أعلم غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة . قال : سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم ، وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أبا وابنا وزوجة وبنتا ؛ فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضى على ما كان عليه إلى أن مَلَك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره ، وقال : ما أغلظ هذا فى دين الإسلام أن يكون طراز القراطيس هكذا وهى تعمل فى الأوانى والثياب وهما يعملان بمصر ، وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد ، فأمر بالكتابة إلى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز الذى يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك ، وأن تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وشهد الله أنه لا إله إلا هو ، وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير ، وكتب إلى عمال الآفاق جميعا بإبطال ما فى أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شيء منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما أثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد .

---

(١) الكسائى ، أبو الحسن : من علماء القراءات أحد القراء السبع . تعلم على الخليل بن أحمد . أدب الأمين والمأمون ولدى الرشيد . ت[١٨٩هـ] .

وحمل إلى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل إلى ملكهم فترحم له ذلك الطراز ، فأنكره وعظم عليه واستشاط غيظا ، فكتب إلى عبد الملك إنى أعمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته ، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وإن كنت قد أصبت فقد أخطئوا فاختر من هاتين الخلتين أيهما شئت وأحببت ، وقد بعثت إليك بهدية تليق بمحلك وأحببت أن ترد طراز تلك القراطيس إلى ما كان عليه ، وجميع ما كان يطرز أولا لأشكرك عليها، وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر ؛ فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه أنه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها إلى صاحبه .

فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك وقال : إنى ظننت أنك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبنى إلى كتابى فأضعفت الهدية ، وأنا أرغب إليك مثل ما رغبت فيه أولا من رد الطراز إلى ما كان عليه ، فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب إليه ملك الروم كتابا يقتضى أجوبة . كتبه ويقول : إنك قد استخففت بجوابى وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمت أنك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول ، وقد أضعفتها لك ثالثا وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لأمرن بنقش الدراهم والدنانير ، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش فى بلادى ولم أر الدراهم والدنانير نقشت فى بلاد الإسلام فننقش عليها شتم نبيك ، فإذا قرأته ارفض حبينك عرقا فأحب أن تقبل هديتى وترد الطراز إلى ما كان عليه أول الأمر ، وكانت هدية بررتنى بها ويبقى الأمر بينى وبينك .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الأرض وقال أحسبنى أشأم مولود ولد فى الإسلام لأنى جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى إلى أبد الدهور ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع[1] : إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه . فقال : ويحك بم ؟ قال : عليك بالباقر[2] من آل بيت النبى ﷺ قال : صدقت ويمكنه يا روح الرأى فيه ؟ قال : نعم فكتب إلى عامله بالمدينة أن أرسل محمد بن على بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته وأرح عليه فى جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن على .

فلما وافاه أخبره الخبر فقال : محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين إحداهما : أن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم فى رسول الله ﷺ . والثانية : تدعو فى هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله ﷺ إحداهما: فى وجه الدرهم والدينار . والأخرى : فى الوجه الثانى وتجعل فى مدار الدرهم أو الدينار ذكر البلد

---

(١) روح بن زنباع بن روح بن سلامة : أمير فلسطين ، وسيد اليمانية فى الشام وقائدها . قيل : له صحبة . كان عبد الملك بن مروان يقول : جمع روح طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز . ت]٨٤هـ] . انظر : الإصابة رقم (٢٧٠٧) .

(٢) محمد بن على زين العابدين بن الحسين ، الباقر : الإمام الخامس عند الشيعة ، عرف بالعبادة والورع والعلم ، تُوفى بالمدينة [١١٤هـ=٧٣٢م] .

الذى يضرب فيه والسنة التى تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة أصناف التى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا أحدا وعشرين مثقالا فيجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجاة من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان ، فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل ، وكانت الدراهم فى ذلك الوقت إنما هى الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية[1] فى الإسلام مكتوب عليها سورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية (نوش خور) أى كل هنيئا وكان وزن الدراهم منها قبل الإسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السامرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وأمره محمد بن علىّ بن الحسين رضي الله عنه أن يكتب السكة فى جميع بلدان الإسلام وأن يتقدم إلى الناس فى التعامل بها ، وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما ، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكة الإسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم إليه بذلك ويقول : إن الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله وقد تقدمت إلى عمالى فى أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطراز الرومية فقيل لملك الروم : افعل ما كنت تهددت به ملك العرب ، فقال إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأننى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم الرسوم فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا

---

(١) كسروية : نسبة إلى كسرى ملك فارس .

يتعامل به أهل الإسلام ، وامتنع من الذى قال وثبت ما أشار بـه محمـد بـن على بن الحسين رضي الله عنه إلى اليوم . ثم رمى يعنى الرشيد بـالدرهم إلـى بعـض الخدم انتهى من حياة الحيوان[1] .

[١٨٣] وقال نصر الله بن مجلى ، وكان من الثقات وأهل السنة : رأيت علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه فى المنام فقلت : يا أمير المؤمنيـن تفتحـون مكة وتقولون مـن دخـل دار أبـى سـفيان فهـو آمـن ، ثـم يتـم علـى ولـدك الحسين ما تم . فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا ؟ قلـت : لا ، قال : اسمعها منه ثـم انتبهـت فبـادرت إلـى دار حيـص بيـص فذكـرت لـه الرؤيا، فشهق وبكى وحلف بالله أنها لم تخرج من فيه أو خطه لأحـد ومـا نظمها إلا فى ليلته ثم أنشدنى :

ملكنـا فكـان العفـو منـا سـجية	فلمـا ملكتـم سـال بـالدم أبطـح
وحللتمـــو قتل الأسارى وطالمـا	غدونا عن الأسرى نفـك ونصفح

واسم حيص بيـص سعيد بـن محمـد أبـو الفـوارس التميمـى الشـاعر المعروف ويعرف بابن الصيفى ، ولقب بحيص بيص لأنـه رأى النـاس يومـا فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال : ما للناس فى حيص بيص . فبقـى هـذا اللقب عليه

[١٨٤]ومن محاسن شعره :

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا	اقصر عنـاك فـإن الـرزق مقســوم
الـرزق يـأتى إلى من ليس يطلبـه	وطالب الرزق يسعى وهو محـروم

---

(١) انظر : حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١/٩٥) .

[١٨٥] وله أيضا :

يا طالب الطب من داء أصيب به ... إن الطبيب الذى أبلاك بالداء
هو الطبيب الذى يرجى لعافية ... لا من يذيب لك الترياق فى الماء

[١٨٦] وله أيضا:

ألم عما استأثر الله به ... أيها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله لا يدفعه ... حول محتال إذا الأمر سبق

[١٨٧] وله أيضا :

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت ... على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل من دنيا مولية ... ولا يضر مع الإقبال إنفاق

ومما جاء فى الذكاء والفهم

[١٨٨] **ما حكى** : عن المأمون أنه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه فى الإيقاع ، به وكان قد حضره فى ذلك المجلس صديق له فكتب إليه كتابا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم ، يا موسى» فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر إليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت له : يا سيدى إنى أفهم معنى هذا فقال : وما هو ؟ قالت : إنه أراد قوله تعالى ﴿**يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك**﴾ [القصص: ٢٠] وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون فى عدم الحضور فكان سبب سلامته .

[١٨٩] **وأحسن من ذلك ، ما ذكره ابن خلكان قال** : إن بعض الملوك غضب على بعض عماله فأمر وزيره أن يكتب له كتابا يشخصه به

وكان للوزير بالعامل عناية فكتب إليه كتابا وكتب فى آخره إن شاء الله تعالى وجعل فى صدر النون شدة فعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير إذ من عادة الكتاب أن لا يشكلوا كتبهم ، ففكر فى ذلك فظهر له أنه أراد ﴿**إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك**﴾ [القصص: ٢٠] فكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب وأعاده .

فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم أنه أراد ﴿**إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها**﴾ [المائدة: ٢٤] انتهى.

[١٩٠] **وفى تاريخ بغداد ، ووفيات الأعيان** : أن أبا حنيفة[١] رضي الله عنه كان له جار إسكافى يعمل نهاره ، فإذا رجع إلى منزله ليلا تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه غنى وقال :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت ، حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته ، فسأل عنه فقيل: أخذه العسس[٢] منذ ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فقال : ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير من مجلسه وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أشفع فى جارى .

---

(١) أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفى : إمام المذهب الحنفى ،وأحد الأئمة الأربعة . قال الشافعى : إن الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه ت[١٥٠هـ] .انظر : الجواهر المضيئة (٣٦/١) .

(٢) العَسَس ، جمع العاس : الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة .

فقال الأمير : أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة فخلوهم أيضاً ، وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج والإسكافى يمشى وراءه فقال له أبو حنيفة : يا فتى هل أضعناك ؟ فقال : بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ، ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل .

[١٩١] **وقال الشافعى**(١) : قلت لمالك(٢) هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته .

فائدة

[١٩٢] إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها «بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين» ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**﴾ [الأحقاف: ٣٥].

---

(١) محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع المطلبى ، أبو عبد الله الشافعى : الإمام العلم ، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ وهو ابن عشر سنين . قال أحمد بن حنبل: ستة أدعو لهم سحرا أحدهم الشافعى ت[٢٠٤هـ] . انظر : طبقات الشافعية لابن هداية ص ١١ .

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى ، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه ينسب المالكية . أجمعت طوائف العلم على إمامته ، ت[١٧٩] . انظر : وفيات الأعيان (٢٨٤/٣) ، حلية الأولياء (٣١٦/٦).

فائدة أخرى للصداع

[١٩٣] **ذكر فى حياة الحيوان** : أن مسلمة بن عبد الملك[1] لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب فى الحرب فقال أهل عمورية للمسلمين : ما لأميركم لم يركب ؟ فقالوا : عرض له صداع فأخرجوا لنا برنسا وقالوا ألبسوه له يزل عنه ما يجد فلبسه فشفى ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**﴾ [البقرة: ١٧٨] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**﴾ [النساء: ٢٨] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا**﴾ [الأنفال: ٦٦] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**كهيعص**﴾ [مريم: ١] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**حم عسق**﴾ [الشورى: ١،٢] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾ [البقرة: ١٨٦] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا**﴾ [الفرقان: ٤٥] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم**﴾ [الأنعام: ١٣] فقال المسلمون : من أين لكم هذا ؟ هذا إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ قالوا : وجدنا هذا محفوظا فى حجر كنيستنا قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى .

---

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : من أمراء بنى أمية ، يلقب بالجرادة الصفراء ، له فتوحات مشهورة ، غزا الترك والسند [١٠٩هـ] ، ت[١٢٠هـ=٧٣٨م] . انظر : دول الإسلام (٦٢/١) .

[١٩٤] **قال الحافظ ابن عساكر** : ويكتب للصداع أيضا بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا**﴾ [مريم: ١،٢،٣] ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا**﴾ [الفرقان: ٤٥] ﴿**كهيعص**﴾ [مريم: ١] ﴿**حم عسق**﴾ [الشورى: ١،٢] كم لله من نعمة على عبد شاكر وغير شاكر ، كم لله من نعمة فى قلب خاشع وغير خاشع، وكم لله من نعمة فى كل عرق ساكن وغير ساكن ، اذهب أيها الصداع بعز عز الله بنور وجه الله﴿**وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم**﴾[الأنعام: ١٣] ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين فإنه نافع .

[١٩٥] **وعن أبى الدرداء**[١] **قال** : «صلى بنا رسول الله ﷺ فمر بنا كلب فما بلغت رجله يده حتى مات . فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : من الداعى على هذا الكلب؟ فقال رجل من القوم : أنا يا رسول الله قال : فما قلت ؟ قال قلت : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام اكفنا هذا الكلب بما شئت . فقال ﷺ لقد دعا الله بالاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى»[٢] . وهذا الحديث فى السنن الأربعة ومسند أحمد وكتابى الحاكم وابن حبان قيل وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وأن الرجل الداعى سعد بن أبى وقاص انتهى من حياة الحيوان[٣] .

---

(١) عويمر بن عامر بن مالك بن زيد الأنصارى ، أبو الدرداء : من كبار الصحابة وقضاتهم وزهادهم ، ت[٣١هـ] .انظر : الإصابة (٢/٤٥) .

(٢) الحديث : رواه الترمذى ، كتاب الدعوات (٦٣) . ابن ماجه ، الدعاء (٩) .

(٣) انظر : حياة الحيوان ، حرف الكاف (٢/٣٨٣) .

فائدة منه أيضا

[١٩٦] تكتب هؤلاء الكلمات وتجعل فى أنبوبة وتدفن فى الزرع والكرم فإنه لا يؤذيه الجراد بإذن الله تعالى وهى :«بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم أهلك صغارهم واقتل كبارهم وأفسد بيضهم، وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واستجب منا يا أرحم الراحمين» . وهو عجيب مجرب.

فائدة

[١٩٧] **قال القرافى**(١) : اتفق الناس على تكفير إبليس بقضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام ، وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود وإلا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع منه كافرا ، وليس كفره بكونه حسد آدم عليه الصلاة والسلام على منزلته من الله تعالى وإلا لكان كل حاسد كافرا ، وليس كفره بعصيانه وفسوقه وإلا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء ، وينبغى أنه إنما كفر بنسبة الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى ؛ ويظهر ذلك من فحوى قوله ﴿**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ [ص: ٧٦] ومراده أن إلزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله

---

(١) أحمد بن إدريس ، القرافى أبو العباس : من علماء المالكية الكبار ، من أهم كتبه : الفروق ، ت[٦٨٤هـ-١٢٥٨م]. انظر : شجرة النور الزكية (٣٩٦/١) .

تعالى وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر :

خليلـيَّ إن قـالت بثينـة مالـه ... أتانـا بـلا وعـد فقـولا لهـا لهـا
أتـى وهـو مشغول بعظم الـذى بـه ... ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تـزرى بالغزالـة فـى الضحـى ... إذا بـرزت لـم يبـق يومـا بهـا بهـا
لهـا مقلـة كحـلا وخـد مـورد ... كـأن أباهـا الظبـى أوأمهـا مهـا
دهتنـى بـود قـاتل وهـو متلفـى ... وكـم قتلـت بالمزج مـن ودها دهـا

هى من مزج النغف بنـون وغيـن معجمتيـن مفتوحتيـن ثـم فـاء ؛ دود يكون فى أنف الإبل والغنم الواحدة نغفة ، انتهى عن الأصمعى .

وقال أبو عبيدة : هو الدود الأبيض يكون فى النوى ومـا سـوى ذلـك الدود ليس بنغف[1] .

[١٩٨] **وروى** : مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثـه الـذى رواه فى الدجال : «ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقـابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة»[2] ومعنى قوله فرسى قتلى ، وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها .

---

(١) انظر : حياة الحيوان ، حرف النون (٢/٤٩٤) .

(٢) الحديث : رواه مسلم ، كتاب الفتن (١١٠) .

حكاية الهامة[1]

[١٩٩] **روى أبو نعيم فى الحلية**[2] : عن ابن مسعود قال : كنت عند كعب الأحبار[3] وهو عند عمر بن الخطاب فقال كعب الأحبار : يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء رأيته فى كتب الأنبياء أن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت : السلام عليك يا نبى الله ، فقال: وعليك السلام يا هامة أخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع ؟ قالت : يا نبى الله إن آدم أخرج من الجنة بسببه . قال: فكيف لا تشربين الماء ؟ قالت : لأنه غرق فيه قوم نوح ؛ فمن أجل ذلك لا أشربه. فقال لها : كيف تركت العمران وسكنت الخراب ؟ قالت : لأن الخراب ميراث الله تعالى ؛ فأنا أسكن ميراث الله ، قال الله تعالى ﴿**وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين**﴾ [القصص: ٥٨] فالدنيا ميراث الله كلها .

قال سليمان : فما تقولين إذا جلست فوق خربة ؟ قالت أقول : أين الذين كانوا يتنعمون فيها . قال سليمان : فما صياحك فى الدور إذا مررت عليها؟ قالت : أقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد . قال

---

(١) الهامة ، بتخفيف الميم : طير الليل .

(٢) انظر : حلية الأولياء (٣٦٩/٥) .

(٣) كعب بن ماتع بن ذى هجن ، أبو إسحاق : تابعى كان فى الجاهلية من علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم زمن أبى بكر وقدم المدينة زمن عمر ؛ فأخذ عنه الصحابة من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ت[٣٢هـ] .

سليمان عليه السلام : فمالك لا تخرجين بالنهار ؟ قالت : من كثرة ظلم بنى آدم لأنفسهم . قال: فأخبرينى ما تقولين فى صياحك ؟ قالت : أقول تزودوا يا غافلون وتهيئوا لسفركم سبحان خالق النور . فقال سليمان : ليس فى الطيور طيرا أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة ومافى قلوب الجهال أبغض منها .

والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان[1] .

[٢٠٠] **وفى كتاب فردوس الحكم قال** : آية من كتاب الله تعالى من قرأها يأمن الهوام ﴿**إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم**﴾ [مرد: ٥٦]

[٢٠١] **وفى كتاب العرائس لأبى الفرج بن الجوزى** : إن بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرفقه شخص فى الطريق ، فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص : قد صار لى عليك حق وذمة وأنا رجل من الجان ولى إليك حاجة قال : وما هى ؟ قال إذا أتيت مكان كذا وكذا فإنك تجد فيه دجاجات بينهن ديك أبيض فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتى إليك . قال : فقلت له يا أخى وأنا أيضا أسألك حاجة ؟ قال : وما هى ؟ قلت : وإذا كان للإنسان مارد لا تعمل فيه العزائم وألح بالآدمى منا ما دواؤه ؟ قال : يؤخذ له وتر قدر شبر من

---

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف الهاء (٢/٥١١) .

جلد اليحمور ويشد به إبهام المصاب من يده شدا وثيقا ، ثم يؤخذ له من دهن السذاب[1] البرى ويقطر فى أنفه الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فإن الماسك به يموت ولا يعود إلى أحد بعده .

قال : فلما دخلت المدينة أتيت إلى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فأبت ، فاشتريته منها بأضعاف ثمنه . فلما اشتريته وملكته تمثل لى من بعيد وقال بالإشارة : إذبحه فذبحته فخرج علىّ عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربوننى ويقولون : يا ساحر فقلت : لست بساحر فقالوا : إنك منذ ذبحت الديك أصيبت شابة عندنا بجنى ، وإنه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا من دهن السذاب البرى فأتوا بهما فشددت إبهامى يدى الشابة شدا وثيقا ؛ فلما فعلت بها ذلك صاح قائلا وأنا علمتك على نفسى ، ثم قطرت من الدهن فى أنفها الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فخر من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعدها شيطان . فائدة :اليحمور حمار الوحش[2] .

فائدة

[٢٠٢] دم اليربوع يؤخذ ويطلى به الشعر الذى ينبت فى الحفن بعد أن ينتف يذهب بإذن الله تعالى[3] .

---

(١) دهن السَّذَاب : نبات قوى الرائحة ، أزهاره صغيرة . يزرع فى أوروبا وآسيا ، له بعض الفوائد الطبية لكن استعماله خطير للغاية .

(٢) انظر : حياة الحيوان ، حرف الياء (٢/٥٥٧) .

(٣) اليَرْبُوع : نوع من القواضم يشبه الفأر ، قصير اليدين طويل الرجلين وله ذنب طويل . انظر : حياة الحيوان ، حرف الياء (٢/٥٥٩) .

فائدة

[٢٠٣] عين الهدهد إذ علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه ، وريشه إذا حمله إنسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما يريد ، ولحمه إذا أكل مطبوخا نفع من القولنج ، ودمه إذا قطر فى البياض العارض فى العين أذهبه ، وإذا بخر بمخه برج حمام لم يقربه شىء يؤذيه والله أعلم[١] .

[٢٠٤] وحكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتابه مسالك الأنصار فى ممالك الأمصار فى ترجمة الحاكم بأمر الله أبى على منصور[٢] **قال:** بينما هو فى موكبه قبلى بركة الحيش إذا مر برجل على بستان له وحوله عبيده فاستسقاه ماء فسقاه ، ثم قل : يا أمير المؤمنين قد أطمعتنى فى السؤال فإن رأى أمير المؤمنين أن يكرمنى بنزوله لأحظى بتمام السعد فأجابه لذلك ونزل بجيشه فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية سكرية ؛ فبهت الحاكم وقال : أيها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فأعددت هذا؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنما أنا تاجر من رعيتك لى مائة محظية ؛ فلما أكرمتنى بالنزول عندى أخذت من كل واحدة شيئاً من فرشها وزائد أكلها وشربها؛ فإن لكل واحدة فى كل يوم طبق طعام وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب، فسجد أمير المؤمنين شكرا لله تعالى وقال : الحمد

---

(١) انظر : حياة الحيوان ، حرف الهاء (٢/٥١٩) .

(٢) الحاكم بأمر الله ، أبى على منصور :الخليفة الفاطمى . خلف أباه العزيز [٣٨٦هـ] اشتهر بالظلم والاستبداد . اغتيل واختفى أثره [٤١١هـ] .

لله الذى جعل فى رعايانا من يسع حاله هذا ، ثم أمر له بما فى بيت المال من الدراهم المضروبة فى تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ، ولم يركب حتى أحضرها وأعطاها للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروأتك ، ثم ركب وانصرف .

[٢٠٥] **وحكى أبو إسحاق إبراهيم الموصلى قال** : دعانى يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرا ولديه جالسين بين يديه فقال لى: يا أبا إسحاق أصبحت اليوم مهموما فأردت الصبوح لأتسلى فغن لى صوتا لعلى أرتاح له فغنيته :

إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت إلا لجود أكفهم ... وما خلقوا إلا لأعواد منبر

فسر وارتاح وأمر لى بمائة ألف ، وأمر لى كل واحد من ولديه بمائة ألف ؛ فحمل المال جميعه بين يدى فأخذته وانصرفت .

[٢٠٦] **وحكى عن مخارق قال** : أصبحت السماء مغيمة وأصبح الرشيد مع حريمه، فأمرنا بالانصراف وأذن لنا أن نقيم فى منازلنا ثلاثة أيام فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم . فقلت : لا والله لأذهبن إلى أستاذى إبراهيم الموصلى فأعرف خبره ثم أعود، وأمرت من عندى أن يهيؤا لى مجلسا إلى وقت رجوعى ، فجئت إلى دار إبراهيم وقلت للبواب : أخبر أستاذك فأخبره.

فقال : ادخل فدخلت فإذا هو جالس فى رواق وبين يديه قدر تغرغر، وأباريق تزهر ، وستارة منصوبة والجوارى خلفها فقلت: ما بال الستارة لا

أسمع من ورائها صوتا ؟ فقال : اقعد ويحك أصبحت على ما ترى فأتانى خبر ضيعة بيعت بحوارى وقد كنت طلبتها زمانا وتمنيتها فلم أملكها وقد أعطى فيها الآن مائة ألف فقلت : وما يمنعك منها وقد أعطاك الله أضعاف هذا المال، قال : صدقت ولكن نفسى غير طيبة بإخراج هذا المال ، وقال: خذ هذا القضيب ونقر بقضيب فى يده على المدورة وألقى علىّ :

نام الخليون من وهم ومن سقم وبت من كثرة الأحزان لم أنم
يا طالب الجود والمعروف مجتهدا اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال : فأخذته وأحكمته ، ثم قال : امض الساعة إلى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رأيت ، واذكر الضيعة وعرفه أنى صنعت له هذا الصوت فأعجبنى ولم أجد من يستحقه إلا جاريته دنانير ، وأننى ألقيته عليك لتلقيه عليها وائتنى بما يكون من الخبر .

قال : فجئت إلى الباب واستأذنت وأعلمته فأمر بنصب الستارة وألقيت الصوت على الجارية مرارا حتى أحكمته فقال لى : تقيم عندنا أو تنصرف ؟ قلت : أنصرف أطال الله بقاء مولانا الوزير ، فقال : يا غلام احمل معه عشرة آلاف واحمل إلى إبراهيم مائة ألف ، فحملت مالى وأتيت إلى منزلى فنثرت على من عندى من الجوارى دراهم من تلك البدرة وأكلت وشربت بقية يومى .

فلما أصبحت قلت : والله لأذهبن إلى أستاذى ولأعرفن خبره فأتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه بالأمس ، فقلت له : ما الخبر ألم يأتك المال ؟ قال : نعم غير أنه لما دخل منزلى بخلت نفسى بإخراجه وألقى على صوتا آخر أتيت به الفضل بن يحيى ، وحدثته بما كان من أبيه

بالأمس فأمر أن يحمل معى عشرون ألفا ولإبراهيم مائتا ألف وفعلت مثل ما فعلت بالأمس ، وغدوت إليه لما أصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره وألقى علىّ صوتا غيره أتيت به جعفر بن يحيى وأخبرته بما كان من أبيه وأخيه فأمر أن يحمل معى ثلاثون ألفا وإلى إبراهيم ثلثمائة ألف فحملته معى إليه فبكى إبراهيم وقال : وصلت إلىَّ ستمائة ألف وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله أرواحهم أجمعين .

[٢٠٧] **وقال إسحاق** : غدوت يوما وأنا منحصر من ملازمة أمير المؤمنين، فعرضت نفسى على أن أطوف فى الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى : إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فلا تعرفوه مكانى ، فطفت وعدت وقد حمى النهار فوقفت فى فضاء أستريح . فلم ألبث أن جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ، ورأيت لها قواما حسنا وظرفا فائقا فحدثت نفسى أنها مغنية ، ثم أدخلت الدار التى أنا واقف عليها ثم لم ألبث أن جاء شابان جميلان واستأذنا فأذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا أن صاحب الدار دعانى وظن صاحب البيت أننى معهما وجلسنا؛ فأتى بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفى يدها عود فغنت وشربنا . فسألهما صاحب المنزل عنى فأخبراه أنهما لا يعرفانى فقالوا : هذا طفيلى لكنه ظريف فأحملوا عشرتى فشربنا ودار الكأس فغنت الجارية تقول :

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا وهى بالشرب تسمح
من المولغات الرمل أبدى ثغرها ... شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فأدته أداء حسنا ثم غنت صوتا من القديم والحديث تقول

قـــل لمـــن صـــد لاهيـــا ونـــأى عنـــى جانبـــا
قـــد بلغـــت الـــذى أرد ت وإن كنـــت لاعبـــا

فاستعدته منها لأصححه عليها فأقبل علىّ أحد الرجلين يعنفنى ويقول: ما رأينا طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت ، وهذا غاية المثل طفيلى ويقترح . فأطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ؛ ثم قاموا إلى الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا وأخذت عود الجارية وشددت طبقته وأصلحته إصلاحا حسنا محكما وعدت إلى موضعى وعادوا ، وأخذ ذلك الرجل فى عربدته علىّ وأنا صامت، وأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت : من جس عودى ؟ قالوا : ما جسه أحد قالت : بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من الصناعة قلت لها : أنا قالت : بالله خذ واضرب فأخذته وضربت ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى منهم أحد إلا وثب وجلس بين يدى .

وقال صاحب المجلس : أقسم بالله أن لك فى هذه الصناعة أصواتا غريبة فبالله عليك ألا عرفت بنفسك ؟ فقلت : أنا إسحاق الموصلى ووالله إنى لأتيه على الخليفة إذا طلبت ، وأنتم ترون صاحبكم هذا يسمعنى ما أكره لكونى تأدبت معكم ودخلت عندكم ووالله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا الممقوت فقال له صاحبه : من مثل هذا خفت عليك ، وأخذوا بيده وسحبوه وأخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى فقال لى الرجل : هل لك فى خصلة ؟ قلت : ما هى؟ قال : تقيم عندنا أسبوعا والمكافأة الجارية والجهاز لك . قلت : نعم أفعل وأقمت عنده أسبوعا لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبنى فى كل حين وكل موضع ولم يقع أحد على خبرى .

فلما انقضت الأيام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك إلى منزلى وركبت من وقتى إلى المأمون . فلما رآنى قال : يا أبا إسحاق ويحك أين كنت فأخبرته الخبر ، فقال : علىّ بالرحل الساعة فدللتهم على موضعه فأحضره وسأله المأمون فأخبره بالقصة ، فقال : أنت ذو مروءة وسبيلك أن تعان عليها ، وأمر له بمائة ألف ؛ وقال له : لا تعاشر ذلك النذل المعربد ، انتهى.

[٢٠٨] **ومن كلام الأحوص فى حضرة يزيد** : غنته جارية بين يديه:

إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال : لمن الشعر ؟ قالت لا أدرى ، قال ابعثوا إلى الزهرى[1] وكان قد ذهب من الليل شطره فأتى به . فلما صعد إليه قال : لا بأس عليك لن ندعوك إلا لخير ، فجلس وسأله عن قائل هذا الشعر فقال : الأحوص قال ما فعل به ؟ قال : قد طال حبسه فأمر بتخلية سبيله ، وأن يدفع له أربعمائة دينار ، ثم قدم عليه بعد ذلك فأجازه وأحسن إليه إحسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك ، انتهى.

[٢٠٩] **وحكى مسرور الخادم** : أن الرشيد قصد الركوب فى غير عادته فقلت له : أين تريد يا أمير المؤمنين فى هذا الوقت ؟ قال : إلى منزل

---

(١) إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن ، أبو إسحاق الزهرى : من علماء الحديث الثقات ، كان يبيح الغناء ويضرب العود ويغنى عليه . روى له البخارى ومسلم ، ولى القضاء ببغداد وتوفى بها .

إبراهيم الموصلىّ. قال: فمضى حتى انتهى إلى منزل إبراهيم الموصلى فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال : يا أمير المؤمنين فى مثل هذه الساعة تظهر ؟ قال : نعم شوق طرق بى إليك ، ثم نزل وجلس فى طرف الإيوان وأجلس إبراهيم فقال له إبراهيم : يا سيدى استنبطنا شيئاً تأكله قبل الشراب ، قال : نعم فجاء بمطعوم كأنما كان معدا له فأصاب منه يسرا . ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلى : يا سيدى أغنيك أم تغنيك إماؤك ؟ قال: بل الجوارى فخرجت جوارى إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانبيه ، فقال إبراهيم: أيضربن كلهن أم واحدة واحدة ؟ فقال بل يضربن اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغنى. قال : فضربت اثنتان وغنت واحدة منهن فقالت :

إذا دعا باسمها داع يحدثنى ... كادت لها مهجتى من حرها تقع
لو أن لى صبرها أو عندها جزعى ... لكنت أعقل ما آتى وما أدع
لا أحمل اللوم فيها والغرام بها ... ما كلف الله نفسا غير ما تسع

ثم غنت أخرى فقالت :

طرقتك زائرة فحى خيالها ... بيضاء تخلط بالجمال دلالها
هل يطمسون من السماء نجومها ... بأكفهم أو يطمسون هلالها
شهدت من الأنفال آخر آية ... فأردتمو بمحالكم إبطالها

ثم غنت أخرى فقالت :

شطت سعاد وأضحى البين قد أبدى ... وأورثتك سقاما تصدع الكبدا
فما احتيالك إذ جد الرحيل بهم ... وخلفوك غداة البين منفردا

لا أستطيع لهم صبرا ولا جلدا ولا تزال أحاديثى بهم جددا

قال : فقام حتى وصل صدر الإيوان وأخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت لشيء من غنائهن إلى أن غنته صبية من صدر الإيوان من حاشية الصفة هذين البيتين لأبى نواس :

يا مورى الزند قد أعيت قوادحه اقبس بما شئت من قلبى بمقباس
ما أقبح الناس فى عينى وأسمجهم إذا نظرت فلم أنظرك فى الناس

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقبلت بين يديه فأخبرته بشيء أسرته إليه فدعا بحماره فركبه ثم إلتفت إلى إبراهيم الموصلى وقال له : ما ضرك أن تكون خليفة فكادت روحه تخرج حتى دعاه بعد ذلك وأدناه .

قال : وكان الذى أخبرته به سرا أن الصنعة فى الصوت لأخته علية بنت المهدى[1] وكانت الجارية لها فوجهتها إلى إبراهيم الموصلى يطارحها

[٢١٠] ومن قول أبى نواس :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفى زى ذى ذكر لها محبان لواط وزناء

---

(١) علية بنت المهدى : أخت هارون الرشيد ، أحسن النساء وأظرفهن وأعقلهن . تقول الشعر ، ت[٢١٠هـ] .انظر : أعلام النساء (٣/٣٣٤) .

قـامت بإبريقهـا والليـل معتكـر ... فلاح من وجهها فـى البيت لألاء
فأرسلت من فم الإبريـق صافيـة ... كأنمـا أخذهـا للعقـل إخفـاء
رقـت على المـاء حتى لا يلائمهـا ... لطافـة وخفـى من شكلها المـاء
فلـو مزجـت بهـا نـورا لمازجهـا ... حتـى تولـد أنـوار وأضـواء
دارت على فئـة ذل الزمـان لهـم ... فمـا يصيبهمـو إلا بمـا شـاءوا
فقـل لمـن يدعى فى العلم توسعة ... حفظت شيئاً وغـابت عنـك أشياء

[٢١١] وقال الشاعر:

كعصفورة فى كـف طفـل يهينهـا ... تذوق مرار الموت والطفل يلعـب
فـلا الطفل ذو عقل يـرق لحالهـا ... ولا الطير مطلوق الجنـاح فيهرب

[٢١٢] وروى البيهقى فى الشعب عن مالك بن دينار[1] قال : مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا إلى الفخ ، وقـال : مالك متغيبا فى التراب ؟ فقال : للتواضع . فقال : فممّ انحنيت ؟ قـال من طـول العبـادة . قـال : فمـا هـذه الحبـة التى فـى فيـك ؟ قـال : أعددتهـا للصائمين. فلما تناول الحبة أمسـك الفـخ عنقـه فقـال العصفـور : إن كـان العباد يخنقون خنقك فلا خير فى هذه العبادة اليوم، انتهى .

[٢١٣] قال الشافعى رضي الله عنه : أربعة أشياء تزيـد فـى الجمـاع : أكـل العصافير، وأكل الأطريفل وأكل الفستق ، وأكـل الجرجير . وأربعـة أشـياء تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصـالحين، والعمل بالعلم. وأربعة تقوى البدن : أكـل اللحـم ، وشـم الطيـب ، وكـثرة

---

(١) مالك بن دينار البصرى ، أبو يحيى : من تلامذة الحسـن البصـرى ، مـن كبـار زهـاد البصرة ، روى عن أنس بن مالك . [١٣١هـ] .

الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان . وأربعة توهن البدن : كثرة الجماع، وكثرة الهم ، وكثرة شرب الماء على الريق ، وكثرة أكل الحموضة ، انتهى من حرف العين[1] .

[٢١٤] و[قيل] : دخل ابن الخياط المكى[2] على المهدى ومدحه فأمر له بخمسين ألف درهماً فسأله أن يأذن له فى تقبيل يده فأذن له فقبلها وخرج فما انتهى إلى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب فى ذلك فأنشد يقول:

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوى الغنى ... أفدت وأعدانى فأتلف ما عندى

فغنى بهما المهدى فأمر له بخمسين ألف ديناراً انتهى .

[٢١٥] ولبعضهم تغزلا فى مليح :

أقول لمقلتيه حين نامـا ... وسحر النوم فى الأجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل ... ويعلم ما جرحتم بالنهار

---

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف العين (١٦٦/٢) .

(٢) يوسف بن عبد الله بن سلم ، ابن الخياط : شاعر من أهل المدينة ، له أخبار وفيه ظرف . جلده مالك بن أنس حدا فى شرب الخمر ، ت[٢٣٠هـ = ٨٤٥م] .

٣ - فصل

الإمام أحمد ومناقبه رضى الله تعالى عنه[١]

[٢١٦] مات سنة مائتين وإحدى وأربعين وحرر من حضر فى جنازته فكانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته رضي الله عنه عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى .

[٢١٧] **وقال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات** : إن المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الإمام أحمد فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ، وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس.

[٢١٨] **وقال محمد بن خزيمة** : لما بلغنى موت الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اغتممت غما شديدا ، فرأيته فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت : يا أبا عبد الله ما هذه المشية ؟ فقال مشية الخدام فى دار السلام . فقلت ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب ، وقال : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى غير مخلوق . ثم قال الله تعالى: يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعو بهن

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى : إمام أهل السنة ، وأحد الأئمة الأربعة . نشأ منكبا على طلب العلم وسافر فى سبيله أسفارا كثيرة . قال الشافعى : أحمد إمام فى ثمان خصال : إمام فى الحديث ، إمام فى الفقه ، إمام فى اللغة ، إمام فى القرآن ، إمام فى الفقر ، إمام فى الزهد ، إمام فى الورع ، إمام فى اللغة. ت[٢٤١هـ=٨٨٥م] .انظر : طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى (١/٤) ، البداية والنهاية(١٠/٣٢٥) .

فى دار الدنيا فقلت : يا رب أسألك بقدرتك على كل شىء أن لا تسألنى عن شىء واغفر لى كل شىء ، فقال جل وعلا : يا أحمد هذه الجنة فادخل فيها .

[٢١٩] وأنشد بعضهم فى تاريخ موت الأئمة الأربعة ومولدهم : الإمام أبى حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ... ومالك فى قطع جوف ضبطا
والشافعى صين ببرند ... وأحمد بسبق أمر جعد
فخذ على ترتيب نظم الشعر ... ميلادهم فموتهم فالعمر

[٢٢٠] وكذا فى تاريخ الأئمة الخمسة المحدثين : الإمام الترمذى[١] ، وأبو داود[٢]، والإمام مسلم[٣] ، والنسائى[٤] ، والإمام البخارى[٥] ، وقد جمع ذلك بعضهم فى بيت واحد فقال :

---

(١) محمد بن عيسى بن سورة ، أبو عيسى الترمذى : من أئمة الحديث وحفاظه ، تتلمذ للبخارى وشاركه فى بعض شيوخه ، له الجامع الكبير . ت[٢٧٩هـ] .

(٢) سليمان بن الأشعث ، أبو داود السجستانى : من أئمة الحديث ، جال كثيرا فى طلب العلم ، واستقر فى البصرة ، له كتاب "السنن" من الكتب الستة . ت[٢٧٥هـ] .

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم ، أبو الحسن : إمام الحديث ، صاحب الجامع الصحيح المعروف ؛ بصحيح مسلم الحافظ ت[٢٦١هـ] .

(٤) أحمد بن على ، النسائى : الحافظ ، الإمام ، صاحب السنن الكبرى . له اليد الطولى فى علم الرجال . ت[٣٠٣هـ] .

(٥) محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخارى : إمام علم الحديث ، صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله . كان كثير الترحال طلبا لحديث رسول الله . ت[٢٥٦هـ] .

إذا رمت الحديث فلذ بخمس ... تكن مثل المشافه فى الحياة
تعطر درعه مارص نسج ... بنور للمحدث للوفاة

بيان ذلك أن التاء إشارة للترمذى ، والدال إشارة لأبى داود ، والميم إشارة للإمام مسلم ، والنون للنسائى ، والباء للبخارى والله أعلم .

[٢٢١] **ويحكى أنه** : أتى برجل مدنى سكران إلى بعض الولاة فأمر بإقامة الحد عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا فلم يتمكن من ضربه فقال الجلاد : للمدنى تقاصر لينالك الضرب . فقال : ويلك إلى أكل الفالوذج[1] تدعونى والله لوددت أن أكون أطول من عوج بن عنق وأنت أقصر من يأجوج ومأجوج فاستظرفه الأمير وخلى سبيله ، انتهى من حلبة الكميت .

[٢٢٢] **ومن قول ابن المعتز**[2] :

وجاءنى فى قميص الليل مستترا ... يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء صباح كاد يفضحنا ... مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

[٢٢٣] **ولبعضهم عفا الله عنه** :

جرى دمعى من الحال الذى بى ... كحرى الماء فى أول أيبب

---

(١) الفالوذج : من أنواع الحلوى .

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم : الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليلة . كان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم ت[٢٩٦هـ=٩٠٩م] . انظر : وفيات الأعيان (١/٢٨٥) .

ومع هذا فلا أقطع رجائى لأن الله ألطف من أبى بى

[٢٢٤] ومن كلام الشافعى رضي الله عنه:

لم يدر طعم الفقر من هو فى غنى ومصحح الأعضاء ليس كمبتلى
كم فاقة مستورة بمروأة وضرورة قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شجى قد صادفته غمة لا تنجلى
والناس جمعا عند كل كفؤه والهم مفترق وما أحد خلى
لو سود الهم الملابس لم تجد بيض الثياب على امرئ فى محفل
وإذا أراد المرء يجلو همه عن نفسه من نفسه لا ينجلى

[٢٢٥] ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعى رحمه الله تعالى فى أرض اليمن :

رياض نجد بكم جنان فضية نورها حسان
وترب واديكمو بنجد مسك وحصباؤها جمان
والروض من شعبكم عبير والزهر ورد وزعفران
والحار فى ربعكم عزيز والحر فى أرضكم يصان
فكم سفكتم دمى ودمعى أما على القاتل الضمان
ورمت أخفى الهوى ودمعى من شدة الوجد ترجمان
يالائمون اقصروا ملامى رفقا بمن قلبه ملان
لا تذكروا الظاعنين عندى فلى وللظاعنين شان
قالوا هواهم عليك حتم فقلت عهد الهوى يصان
قالوا فكم تكتم النصابى قلت المعنى بهم معان
قالوا فقد فارقوك ربعا قلت هم الناس حيث كانوا

قالوا فدعهم فقلت كلا ... لعل دهرا قسا يلان
ليت الصبا الحاجرى ينبى ... عن حيرة البان يوم بانوا
هل عهدهم عهدهم بنجد ... باق أم استؤمنوا فخانوا
يا محسنا بالزمان ظنا ... هل تدر ما يفعل الزمان
لا تتبع النفس فى هواها ... إن اتباع الهوى هوان
وآعجلتى من عتاب ربى ... إن قيل أسرفت يا فلان
إلى متى أنت فى الملاهى ... تسمر مرخى لك العنان
لو خوفتك الجحيم بطشى ... لشوقت قلبك الحنان
عندى لك الصفح وهو برى ... وعندك السيف والسنان
ما تستحى كاتبا كريما ... يحصى به الفعل واللسان
وتستحى شيبة تراها ... فى النار مسحوبة تهان
أنت شجاع على المعاصى ... وأنت عن طاعتى جبان
لم ينهك الشيب عن حدودى ... ولا رسولى ولا القران
ترضى بأن تنقضى الليالى ... وما انقضى حربك العوان
أى أوان تتوب فيه ... هل بعد قطع الرجا أوان
آثرت غيرى على لكن ... كما يدين الفتى يدان
يا سيدى هذه عيوبى ... وأنت فى الخطب مستعان
يا من له فى العصاة شان ... البر والعطف والحنان
يا من ملا بره النواحى ... لم يخل من بره مكان
عفوا فإنى رهين ذنب ... حاشاك أن يغلق الرهان
فاغفر لعبد الرحيم والطف ... بخائف ما له أمان
وسامح الكل من ذنوب ... غدا بها يشهد البنان
وصل يا ذا العلا وسلم ... على من أخلاقه حسان

وهذه قصيدة الإمام الولى العارف بالله تعالى أبى محمد بن أبى عمران اليشكرى نفعنا الله به

[٢٢٦] قال العلامة بدر الدين بن فرحون[1] : -أحد أصحاب ناظمها- إن بعض الصالحين رأى النبى ﷺ فى المنام قال البدر: وأشك هل كان هو الشيخ أو غيره ، وأنشد هذه القصيدة ؛ فلما بلغ آخرها قال النبى ﷺ : رضيناها رضيناها وهى هذه :

دار الحبيب أحق أن تهواها ... ونحن من طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون إذا هممت بزروة ... يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلانت أنت إذا حللت بطيبة ... وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغنى الجمال من الخواطر والتى ... سلبت قلوب العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكى كتربها ... هيهات أين المسك من رياها
طابت فإن تبغى لطيب يا فتى ... فادم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح تقررا ... إن الإله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودعا إلى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها ... شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطىء الثرى ... وأجلهم قدرا وأعظم جاها
كل البلاد إذا ذكرن كأحرف ... فى اسم المدينة لا خلا معناها
حاشا مسمى القدس فهى قريبة ... منها ومكة إنها إياها
لا فرق إلا أن ثم لطيفة ... مهما بدت يجلو الظلام سناها

---

(١) إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون : فقيه مالكى ، ومؤرخ ، من أهم تصانيفه الديباج المذهب . انظر : نيل الإبتهاج ص ٣٠ .

حزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاز ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة ... فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بهجرة حبه ... الله شرقها به وحباها
ما بين قبر للنبى ومنبر ... حما الإله رسوله وسقاها
هذى محاسنها فهل من عاشق ... كلف شجى ناحل بنواها
إنى لأرهب من توقع بينها ... فيظل قلبى موجعا أوّاها
ولقلما أبصرت حال مودع ... إلارثت نفسى له وشجاها
فلكم أراكم قافلين جماعة ... فى أثر أخرى طالبين سواها
قسما لقد أكسى فؤادى بينكم ... جزعا وفجر مقلتى مياها
إن كان يزعجكم طلاب فضيلة ... فالخير أجمعه لدى مثواها
أو خفتمو ضرا بها فتأملوا ... بركات بقعتها فما أزكاها
أف لمن يبغى الكثير لشهوة ... ورفاهة لم يدر ما عقباها
فألعيش ما يكفى وليس هو الذى ... يطغى النفوس إلى خسيس مناها
يا رب أسأل منك فضل قناعة ... يسيرها وتحصنا بحماها
ورضاك عنى دائما ولزومها ... حتى توافى مهجتى أخراها
فأنا الذى أعطيت نفسى سؤلها ... فقبلت دعواها فيا بشراها
بحوار أوفى العالمين بذمة ... وأعز من بالقرب منه يباهى
من جاء بالآيات والنور الذى ... داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الأنام بخطة الشرف التى ... تدعى الوسيلة خير من يعطاها
إنسان عين الكون سر وجوده ... يس أكسير المحامد طاها
حسبى فلست أفى ببعض صفاته ... لو أن لى عدد الورى أفواها
كثرت محاسنه فأعجز حصرها ... فغدت وما نلقى لها أشباها

إنـى اهتديـت مـن الكتـاب بآيـة ... فعلمـت أن عـلاه ليـس يضـاهى
ورأيـت فضـل العـالمين محـددا ... وفضـائل المختـار لا تتنـاهى
كيف السبيل إلى تقصى مدح من ... قـال الإلـه لـه وحسبك جاهـا
إن الذيـن يبـايعونك إنمـا ... هـم مـن يقـال يبـايعون اللـه
هـذا الفخار فهـل سـمعت بمثلـه ... واهـا لنشـأتها الكريمـة واهـا
صلـوا عليـه وسـلموا فبذلكـم ... تهـدى النفـوس لرشـدها وغناهـا
صلـى عليـه اللـه غـير مقيـد ... وعليـه مـن بركاتـه أنماهـا
وعلى الأكابر آله سـرج الهـدى ... أكـرم بعترتـه ومـن والاهـا
وكـذا السـلام عليـه ثـم عليهـم ... وعلـى صحابتـه التـى زكاهـا
أعنى الكرام أولى النهى أصحابـه ... فئـة التقـى ومـن اهتـدى بهداهـا
والحمـد للـه الكريـم وهـذه ... نجـزت وظنـى أنـه يرضاهـا

وهذا آخرها والحمد لله وحده

[٢٢٧] ولبعضهم شعر :

للـه فـى ملكـه خـاتم ... تجرى المقـادير علـى نقشـه
لا تنبشـن الشـر تبلـى بـه ... واحذر على نفسك مـن نبشـه
مصـارع الدهـر لهـا سـطوة ... تـنزل السـلطان عـن عرشـه
إذا طغـى الكبـش بلحـم الكـلا ... أدرج رأس الكبـش فـى كرشـه
إذا بغـى المـرء على جنسـه ... لابـد أن ينكـب فـى فرشـه

[٢٢٨] **قوله ﷺ : «أنت ومالك لأبيك»** ذكر العلامة الشمس العلقمى فى حاشيته على الجامع الصغيرة عن جابر قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبى أخذ مالى فقال النبى ﷺ للرجل اذهب فأتنى بأبيك فنزل جبريل على النبى ﷺ فقال : إن الله عز وجل

يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه . فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى . فقال عليه الصلاة والسلام : أيها الشيخ دعنا من هذا أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا ، لقد قلت فى نفسى شيئا ما سمعته أذناى فقال له قل فأنا أسمع فقال :

عذيتك مولودا وعلتك يافعا ... تعل بما أسدى إليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى وعيناى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت شيء مسحل
فلما بلغت السن والغاية التى ... لها مدة قد كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال : فحينئذ أخذ رسول الله ﷺ بجلباب ابنه وقال له : أنت ومالك لأبيك، انتهى .

[٢٢٩] وحكى الأصمعى قال : خرجت فى طلب الأعاجيب من الأحاديث فلاحت لى بلدة بيضاء كأنها الغمامة فدخلتها فإذا هى خراب وليس فيها ديار ولا أنيس ، فبينما أنا أدور فى نواحيها إذ سمعت كلاما فطار قلبى فأنصت فإذا به كلام موحش فسللت سيفى ودخلت ذلك المكان فإذا أنا برجل جالس وبين يديه صنم وفى يديه قضيب وهو يبكى وينكت به الأرض ويقول :

أما و مسيح الله لو كنت عاشقا لمت كما ماتت وما ضمنى لحدى
وكم أتسلى بالحديث وبالمنى وبالعبرات السائلات على خدى
وإنى وإن لم يأتنى الموت سرعة لأمسى على جهد وأضحى على جهد

قال : فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه ، فلم يشعر بى إلا أن قلت له السلام عليك فرفع رأسه وقال : وعليك السلام من أين أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان؟ فقلت : الله جاء بى قال : صدقت وهو الذى أفردنى فى هذا المكان ، فقلت له : ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذى بين يديك؟ فقال لى : إن حديثى عجيب وأمرى غريب فقلت له : حدثنى به ولا تخف منه شيئا فقال لى : اعلم إننا كنا قوما من بنى تميم وكنا على دين المسيح، وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنمة ابنة عمى، وكنت أنا وإياها . فلما كبرت حجبها عمى عنى فكنت أحبها سرا ؛ فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عمى يدق الباب فادخلتنى سردابا وقامت هى ففتحت الباب ودخل عمى فقال لها : أين عبد المسيح ؟ فقالت : إنى لم أره ، فقال لها : إنى سمعت كلامه عندك . فقالت :لم تسمع شيئا وإنما خيل لك فقال لها : والله إن لم تصدقينى وإلا دعوت عليك إن كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت له : إذا كنت كاذبة، فرفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم يا رب الأولين والآخرين إن كنت تعلم أن ابنتى هذه كاذبة فى قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولى أربعون سنة فى هذا المكان وأنا اتقوت من نبات الأرض وأشرب من هذه الأنهار وأتسلى بالنظر إلى هذه الصنمة إلى أن يحكم الله لى بالموت ثم بكى وأنشد يقول :

وحق الذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى خلق الخلقا
لئن قلت إن الحب قد يقتل الفتى وإن الفتى بعد التفرق لا يبقى

لقد قلت حقا وإسـأل العبرة التى تسيل وسيل الدمـع منـى لا يرقا

قال الأصمعى : ثم قام ذلك الشـاب وتـوارى عنـى بجـدار مـن تلـك الجدر ونزع المسوح التى كانت عليه ولم يبق عليه إلا مـا يـوارى سـوأته ، فتأملته فإذا عيناه تدور فى أم رأسه فقلت فى نفسـى : هـذا أراد أن يطلعنـى على نحول جسده ، ثم أقبل على وهو عريان وقال لى : يا فتـى إننـى قـائل ثلاثة أبيات وكان منى ما كان فإذا أنا مت فكفنى أنا وإياها فى هـذه الجبة وادفنا فى هذه الجون وضمنا بالتراب ، واكتب على قبرنا هذه الأبيات :

مـن لـم يكـن يحسـب أن الهـوى يقتـل فلينظـر إلـى مضجعـى
لـم يبـق لـى حـول ولاقـوة الإخيـال الشـمس فـى موضعـى
أشـكو الـى الرحمـن جهد البلا إشـارة بـالطرف والأصبـع

قال الأصمعى : هذا وأنا أنظر إليه وأسمع شـعره وأتعجب منه ومن أمر الصنمة، وإذا به وقع على الأرض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسـده . قـال الأصمعى : فكفنتهمـا ودفنتهمـا فى ذلـك الجـون ، وكتبت على قبرهما تلك الأبيات وتركتهما وانصرفت وأنـا متعجب غاية العجب ، انتهى .

[٢٣٠] و [قيل] : لما عزم أحمـد بـن طولـون[1] علـى بنـاء الجـامع المعروف به فى مصر القاهرة أنفق عليه مائة ألف دينار ، ورتب فيه للعلماء، والقـراء ، وأربـاب الشـعائر، والبيـوت فـى كـل شـهر عشـرة آلاف دينـار

(١) أحمد بن طولون : مؤسس الدولة الطولونية فى مصر والشام مستقلة عن الدولة العباسية [٢٥٤هـ:٢٩٢هـ] .

وللصدقة فى كل يوم مائة دينار ، وكان مشتملا على خصال حميدة منها : أن فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت ، وكانت البنت لم تفارق البيت وما نظرت إلى السوق قط ولا خرجت فسألت أمها وأباها أن تخرج معهما إلى السوق فواعداها بذلك . فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما إلى السوق فمروا بباب الأمير المسمى بالفيل وتمادى الأب والأم وتركاها ولم يشعرا بوقوفها ، فبقيت البنت حائرة لا تدرى أين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الأمير المسمى بالفيل . فلما رآها افتتن بها فمسكها ودخل بها ، ثم أمر الحوارى أن يغسلنها وينظفنها ويلبسنها أحسن الملبوس ويطيبنها بأنواع الطيب ويحلينها له ففعلن ذلك فدخل عليها وأزال بكارتها . هذا ووالداها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الأماكن ، فلم يقعا لها على خبر فلم يزالا يبكيان . فلما جن الليل وإذا بشخص يطرق الباب فخرج أبوها وفتح الباب فقال الرجل لأبيها : إن الأمير المسمى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها ، فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لأحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على أنه إذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن فى غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة ، وكان المؤذن بينه وبين أبى البنت صداقة ، فجاء إليه وأخبره بخبره فصعد وأذن فسمعه أحمد بن طولون فأرسل خلفه فأخبره بالقضية فاستدعى بأبوى البنت وخبأهما فى خزانة وكان وقت مجىء الفيل للخدمة . فلما دخل على عادته قال له : نهنيك بالعروس الجديدة فقال له : ومن أين لى عروس جديدة ؟ قال : أتنكر منى وهذا أبو الجارية وأمها وأخرجهما إليه . فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الأمراء الحاضرين فقال له أحمد بن طولون : ارفع رأسك ثم قال لأبيها : تزوج ابنتك مملوكى هذا

على صداق قدره ألف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة ؟ فقال : نعم فأمر بإحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ، ثم بعد انصراف الشهود أمر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع رأسه وقال أحمد بن طولون لأبى الجارية : ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقى من تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لإنعامه داعين له على أفعاله . فانظر إلى هذا العدل العظيم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

[٢٣١] ومما نقل عن بعضهم :

توق رعاك الله تسعا من البشر ... فصحبتهم تفضى إلى البؤس والضرر
وهم أحول مع أعرج ثم أحدب ... كذا كسوج يتلو نشاطا مع الكدر
وإياك والأنف الطويل وأصفرا ... فإنهما بيت الخيانة والخطر
كذا غائر الصدغين خارج جبهة ... كذا أزرق العينين فالحذر الحذر
توقاهمو تحيا سليما من الردى ... وباعدهمو ياذا الفراسة والنظر

[٢٣٢] مناظرة بين إبليس اللعين وبين الملائكة المقربين :

بعد الأمر بالسجود والامتناع منه لمحض العناد والجحود قال لما نقل عنه فيما ذكر أنه قال للملائكة : أى البارى تعالى إلهى وإله الخلق قادر عالم إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إلا أن يتوجه على مساق حكمه أسئلة فقالت الملائكة : ما هى ؟ قال سبع . الأول: قد علم قبل خلقى ما يصدر عنى ويحصل منى فلم خلقنى وما الحكمة فى خلقه إياى . الثانى : أنه خلقنى على مقتضى مشيته وإرادته فلم كلفنى بمعرفته وإطاعته بعد أن لا ينتفع

بطاعة ولا بتضرر بمعصية فإنه الغنى القادر على الإطلاق . الثالث: إنه خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه وأطعته فلم أمرنى بالسجود لأدم وأنا خير منه لأنى من نار السموم وهو أعلى منزلة من الطين . الرابع : أنه خلقنى وأمرنى بالسجود فالتزمت تكاليفه فلم قضى على بالشقاء وحكم على بالبقاء . الخامس : قد أمرنى بالسجود لأدم وهو مخلوق مثلى خرج من الجنة كما خرجت فاستنكفت أن أسجد لمن هو مثلى . السادس : ليس فى أزقة السماء وجها مخل الأولى فيه ركعات وسجدات يشهد بها . السابعة : كيف يأمرنى بالسجود لبشر خلقه وأنا أفضل منه لأنه خلقنى من نار السموم وهى أنفع وأشرف من الطين لكثرة نفعها . أهـ .

ذلك بحروفه وا لله أعلم فسبحان من حكم بالشقاء على من يشاء من عبادة وا لله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين .

كمل الكتاب تكاملت جمل السرور لصاحبه وعفى الإله بفضله وجوده عن كاتبه .

تمت